وجهان: أحدهما: ما عند اللهِ من ثواب صلاتكم خير من لذَّة لهوكم، وفائدة تجارتكم. الثاني: ما عند الله من رزقكم الذي قسمه لكم خيرٌ مما أصبتموه من لهوكم وتجارتكم[١]. وقرأ أبو رجاء العُطارِديُّ: «قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ للذين آمنوا»[٢]. ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أي: خير من رزق وأعطى[٣]، فمنه فاطلبوا، واستعينوا بطاعته على نَيْل ما عنده من خيري الدنيا والآخرة.

سورة المنافقون

مدنِيَّةٌ في قول الجميع، وهي إحدى عَشْرة آيةً[٤]

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ روى البخاريُّ عن زيد بن أَرْقم قال: كنت مع عَمِّي فسمعتُ عبدَ الله بنَ أُبَيٍّ ابنِ سلول يقول: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا. وقال: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ. فذكرتُ ذلك لعمِّي، فذكر عمِّي لرسول الله ﷺ، فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى عبد الله بنِ أُبَيٍّ وأصحابِه، فحلفوا ما قالوا، فصدَّقهم رسولُ الله صلى ا لله عليه وسلم وكَذَّبني، فأصابني همٌّ لم يصبني مثلُه، فجلستُ في بيتي، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: «إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ» إلى قوله: «هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ» إلى قوله: «لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ» فأرسل إليَّ رسولُ الله ﷺ، [فقرأها عليَّ] ثم

(١) النكت والعيون ٦/ ١٢ .

(٢) لم نقف عليها.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٢ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٤٧ .

قال: «إنَّ الله قد صدقك». خرَّجه الترمذيُّ، وقال: هذا حديث حسن صحيح[١].

وفي الترمذيِّ[٢] عن زيد بنِ أَرقم قال: غَزَوْنَا مع رسول الله ﷺ، وكان معنا أناس من الأعراب، فكنَّا نبدر الماء، وكان الأعراب يسبقونا إليه، فيسبق الأعرابيُّ أصحابَه فيملأ الحوض، ويجعل حوله حجارة، ويجعل النِّطع عليه حتى تجيء أصحابه. قال: فأتى رجل من الأنصار أعرابيًّا، فأرْخَى زمامَ ناقته لتشربَ، فأَبَى أن يَدَعَه، فانتزع حجراً فغاض الماء، فرفع الأعرابيُّ خشبةً، فضرب بها رأس الأنصاريِّ فشَجَّه، فأتى عبدَ الله بنَ أُبَيٍّ ـ رأس المنافقين ـ فأخبره ـ وكان من أصحابه ـ فغضب عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ ثم قال: لا تُنْفِقُوا على مَن عند رسول الله حتى ينفضُّوا مِن حوله ـ يعني: الأعراب ـ وكانوا يحضرون رسولَ الله ﷺ عند الطعام، فقال عبد الله: إذا انفضُّوا من عند محمد فَأْتوا محمَّداً بالطعام، فليأكل هو ومَن عنده. ثم قال لأصحابه: لئن رجعتم إلى المدينة لَيُخْرِجَنّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ. قال زيد: وأنا رِدْف عمِّي، فسمعتُ عبدَ الله ابنَ أُبَيٍّ، فأخبرت عمِّي، فانْطَلَق فأخبَر رسولَ الله ﷺ، فأرسل إليه رسولُ الله ﷺ فَحَلَفَ وجَحَد. قال: فصدَّقه رسولُ الله ﷺ وكَذَّبني. قال: فجاء عمِّي إليَّ فقال: ما أردتَ إلَّا أن مَقَتَك رسول الله ﷺ وكَذَّبك والمنافقون. قال: فوقع عليَّ من جرأتهم ما لم يقع على أحد. قال: فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفرٍ قد خفَقْتُ برأسي من الهَمِّ، إذ أتاني رسولُ الله ﷺ فَعَرك أذني وضحك في وجهي، فما كان يَسُرُّني أنَّ لي بها الخُلْد في الدنيا. ثم إنَّ أبا بكر لحقني فقال: ما قال لكَ رسولُ الله ﷺ؟ قلت: ما قال شيئاً، إلا أنَّه عَرَك أذني، وضحك في وجهي، فقال: أَبْشِرْ! ثم لحقني عمرُ، فقلتُ له مثلَ قولي لأبي بكر. فلما أصبحنا، قرأ رسول الله ﷺ سورةَ المنافقين. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

---

(١) البخاري (٤٩٠١) وما بين حاصرتين منه، والترمذي (٣٣١٢)، وأخرجه أيضاً أحمد (١٩٣٣٣)، وهو عند مسلم (٢٧٧٢) بنحوه.

(٢) برقم (٣٣١٣) بنحوه، والخبر نقله المصنف عن الواحدي في أسباب النزول ص٤٥٧-٤٥٨ واللفظ منه.

وسئل حُذيفة بن اليَمَان عن المنافق فقال: الذي يصف الإسلام ولا يعمل به. وهم اليومَ شرٌّ منهم على عهد رسول الله ﷺ؛ لأنَّهم كانوا يكتمونه، وهم اليوم يظهرونه[١].

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعَد أخلَف، وإذا اؤْتُمِنَ خان»[٢]. وعن عبد الله بن عمرو أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أربع من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهنَّ كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعَها: إذا اؤْتُمِنَ خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فَجَر»[٣]. أخبر عليه الصلاة والسلام أنَّ من جمع هذه الخصال كان منافقاً، وخبره صدق. وروي عن الحسن أنَّه ذكر له هذا الحديث فقال: إنَّ بني يعقوب حدَّثوا فكذبوا، ووعدوا فأخلفوا، وأُتُمِنوا فخانوا[٤]. إنَّما هذا القول من النبيِّ ﷺ على سبيل الإنذار للمسلمين، والتحذير لهم أن يعتادوا هذه الخصال؛ شَفَقًا أن تُفْضِيَ بهم إلى النفاق. وليس المعنى: أنَّ من بدرت منه هذه الخصال من غير اختيار واعتياد، أنَّه منافق. وقد مضى في سورة «براءة»[٥] القول في هذا مستوفًى، والحمد لله. وقال

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٣ ، وقول حذيفة أخرجه وكيع في الزهد (٤٧١)، ومن طريقه عبد الله بن أحمد في السنة (٨٠٦)، وابن أبي شيبة ١٥/ ١١٥ ، والفريابي في صفة المنافق (٧٠)، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢٨١-٢٨٢ . وفي إسناده: أبو يحيى، وهو: عبيد بن كرب، ذكره البخاري في التاريخ الكبير ٦/ ٣ ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٥/ ٤١٣ ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٢) البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩)، وهو عند أحمد (٨٦٨٥).

(٣) سلف ١٠/ ٣١٢ .

(٤) أخرج العقيلي في الضعفاء الكبير ٣/ ٧ عن عبد العزيز بن أبي روَّاد قال: أخبر عطاء عن الحسن أنه كان يقول: ثلاث من كن فيه فهو منافق. فقال عطاء: أبا سعيد، قد حدَّث إخوة يوسف فكذبوا، ووعدوا فأخلفوا، واؤتمنوا فخانوا، فمنافقين كانوا؟! قال: فصحت بهم صيحة. قال: قلت: أنت سمعت هذا من عطاء؟ قال: فاصفرَّ لونه. وهو عند الخطيب البغدادي في موضح أوهام الجمع والتفريق ١/ ٤٠ عن محمد المحرم، عن عطاء بنحوه، وفي آخره قال الحسن: صدق عطاء هكذا الحديث، وهذا في المنافقين. وينظر فيض القدير ١/ ٦٣ .

(٥) ١٠/ ٣١٢ .

رسول الله ﷺ: «المؤمن إذا حدَّث صدق، وإذا وعد أنجز، وإذا اؤتمنَ وَفَّى»[١]. والمعنى: المؤمن الكامل إذا حدَّث صدق، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ قيل: معنى «نَشْهَدُ» نحلف. فعبَّر عن الحَلِف بالشهادة؛ لأنَّ كلَّ واحد من الحلف والشهادة إثبات لأمر مُغَيَّب، ومنه قول قيس بن ذَرِيح:

وأشهد عند الله أني أحِبُّها ... فهذا لها عندي فما عندها لِيَا[٢]

ويحتمل أن يكون ذلك محمولاً على ظاهره أنَّهم يشهدون أنَّ محمداً رسول الله ﷺ؛ اعترافاً بالإيمان، ونفياً للنفاق عن أنفسهم، وهو الأشبه[٣]. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ كما قالوه بألسنتهم. ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: فيما أظهروا من شهادتهم وحَلِفهم بألسنتهم. وقال الفرَّاء[٤]: «وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ» بضمائرهم، فالتكذيب راجع إلى الضمائر. وهذا يدلُّ على أنَّ الإيمان تصديق القلب، وعلى أنَّ الكلام الحقيقيَّ كلام القلب. ومن قال شيئاً واعتقد خلافه، فهو كاذب[٥]. وقد مضى هذا المعنى في أول «البقرة»[٦] مستوفى. وقيل: أكذبهم الله في أيمانهم[٧]، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ [التوبة: ٥٦].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٢٠٠) ومن طريقه إسحاق بن راهويه كما في إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري ١/ ١٥٧ عن الزبير ﷺ بزيادة. ونقل البوصيري عن ابن حجر قوله: هكذا رواه إسحاق في مسند الزبير بن العوام، وهكذا رواه أحمد بن منصور الرمادي عن عبد الرزاق، ورواه زهير بن معاوية وغير واحد عن أبي إسحاق، عن الزبير بن عدي، ورواه غيرهم عن أبي إسحاق، عن الزبير غير منسوب، فإن كان معمر حفظه فهو صحيح الإسناد لكنه منقطع، وإن كان زهير حفظه فهو معضل.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٣ ، والبيت في ديوان مجنون ليلى قيس بن الملوَّح ص٢٩٤ و٣٠٠ ، ولم نقف عليه من قول قيس بن ذريح صاحب لبنى. وأخباره في معجم الشعراء ٢/ ٦٢٨ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٣ .

(٤) في معاني القرآن له ٣/ ١٥٨ .

(٥) الوسيط ٤/ ٣٠٢ .

(٦) عند الآية (٨).

(٧) النكت والعيون ٦/ ١٤ .

قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾ أي: سُترة[١]. وليس يرجع إلى قوله: «نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ»، وإنَّما يرجع إلى سبب الآية التي نزلت عليه، حسب ما ذكره البخاريُّ والترمذيُّ عن ابن أُبَيٍّ أنَّه حَلَفَ ما قال، وقد قال[٢]. وقال الضَّحَّاك: يعني حلفهم بالله: «إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ»[٣]. وقيل: يعني بأيمانهم ما أخبر الرَّبُّ عنهم في سورة «براءة» إذ قال: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ﴾ [الآية: ٧٤].

الثانية: من قال: أُقْسِم بالله، أو: أَشْهد بالله، أو: أَعْزِم بالله، أو: أَحلف بالله، أو: أَقسمتُ بالله، أو: أَشهدت بالله، أو: أَعزمت بالله، أو: أَحلفتُ بالله، فقال في ذلك كلِّه: «بالله» فلا خلاف أنَّها يمِين[٤]. وكذلك عند مالك وأصحابه إن قال: أُقْسِم، أو: أَشْهد، أو أَعْزِم، أو: أَحلف، ولم يقل: «بالله»، إذا أراد «بالله». وإن لم يرد «بالله» فليس بيمين. وحكاه الكِيَا[٥] عن الشافعيِّ، قال الشافعيُّ[٦]: إذا قال: أشهد بالله. ونوى اليمينَ، كان يميناً. وقال أبو حنيفة وأصحابه: لو قال: أَشهد بالله لقد كان كذا. كان يميناً[٧]، ولو قال: أَشهد لقد كان كذا. دون النِّيَّة، كان يميناً لهذه الآية؛ لأنَّ الله تعالى ذكر منهم الشهادة ثم قال: «اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً». وعند الشافعيِّ[٨] لا يكون ذلك يمينًا وإن نوى اليمين؛ لأنَّ قوله تعالى: «اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٧٥ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٠٠ ، والحديث سلف قريباً.

(٣) الوسيط ٤/ ١٢٣ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٦٥١ .

(٤) الكافي لابن عبد البر ١/ ٤٤٨ ، وما بعده منه أيضاً.

(٥) في أحكام القرآن له ٤/ ٤١٧ .

(٦) في الأم ٧/ ٥٦ .

(٧) بدائع الصنائع ٤/ ١٣-١٤ .

(٨) في الأم ٧/ ٥٥ .

جُنَّةً» ليس يرجع إلى قوله: «قَالُوا نَشْهَدُ»، وإنَّما يرجع إلى ما في «براءة» من قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ [الآية: ٧٤].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: أعرضوا، وهو من الصدود. أو صرفوا المؤمنين عن إقامة حكم الله عليهم من القتل، والسَّبي، وأخذ الأموال، فهو من الصدِّ، أو منعوا الناسَ عن الجهاد بأن يتخلَّفوا، ويقتدي بهم غيرهم. وقيل: فصدُّوا اليهود والمشركين عن الدخول في الإسلام، بأن يقولوا: هانحن كافرون بهم، لو كان محمد حقًّا لعرف هذا منَّا، ولجعلنا نكالًا. فبيَّن الله أنَّ حالهم لا يخفى عليه، ولكن حكمه أنَّ من أظهر الإيمان أجرى عليه في الظاهر حكم الإيمان. ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: بئست أعمالهم الخبيثة ـ من نفاقهم، وأيمانهم الكاذبة، وصدِّهم عن سبيل الله ـ أعمالاً.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾

هذا إعلام من الله تعالى بأنَّ المنافق كافر، أي: أقرُّوا باللسان، ثم كفروا بالقلب[1]. وقيل: نزلت الآية في قوم آمنوا، ثم ارتدوا ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: خُتم عليها بالكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الإيمان ولا الخير. وقرأ زيد بن عليٍّ: «فَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ»[2].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ أي: هيئاتهم ومناظرهم. ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ يعني عبدَ الله بنَ أُبَيٍّ. قال ابن عباس: كان عبد الله بن أُبَيٍّ وسِيمًا جسيمًا صحيحًا صبيحًا ذَلِق اللسان، فإذا قال سمع النبيُّ ﷺ مقالته[3].

---

(١) الوسيط ٤/ ٣٠٢.

(٢) الكشاف ٤/ ١٠٩، والبحر المحيط ٨/ ٢٧٢، وأوردها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٥٦ ونسبها إلى الأعمش.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٤٨، وفيه: فصيحاً، بدل صبيحاً. ووردت العبارتان معاً عند الزمخشري في =

وصفه الله بتمام الصورة وحسن الإبانة[١]. وقال الكلبيُّ: المراد ابن أُبَيٍّ، وجَدّ بن قيس، ومُعَتِّب بن قُشير، كانت لهم أجسام ومنظر وفصاحة[٢]. وفي «صحيح مسلم»[٣]: وقوله: «كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ» قال: كانوا رجالًا أجملَ شيء، كأنَّهم خشب مسندةٌ. شبَّههم بخُشب مسنَّدة إلى الحائط لا يسمعون ولا يعقلون، أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام[٤]. وقيل: شبَّههم بالخُشُب التي قد تآكلت، فهي مسندة بغيرها، لا يعلم ما في بطنها[٥].

وقرأ قنْبُل وأبو عمرو والكسائيُّ: «خُشْبٌ» بإسكان الشين[٦]. وهي قراءة البَرَاء بن عازب، واختيار أبي عبيد[٧]؛ لأنَّ واحدتها خَشَبة. كما تقول: بَدَنة وبُدْن، وليس في اللغة فَعَلَة يجمع على فُعُل[٨]. ويلزم من ثقلها أن تقول: البُدُن، فتقرأ: «والبُدُن»[٩] [الحج: ٣٦]. وذكر اليزيديُّ أنَّه جماع الخشباء[١٠]، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾ [عبس: ٣٠] واحدتها: حديقة غلباء. وقرأ الباقون بالتثقيل، وهي رواية البَزِّيِّ عن ابن كَثِير، وعيَّاش عن أبي عمرو، وأكثر الروايات عن عاصم. واختاره أبو حاتم، كأنَّه جمع خِشاب وخُشُب، نحو ثَمرة وثِمار وثُمُر. وإن شئت جمعت خشبة على خُشب كما قالوا: بَدَنَة وبُدْن وبُدُن. وقد رُوي عن ابن المسيّب فتح الخاء والشين في «خُشُب». قال سِيبويه: خَشَبة وخُشُب، مثل بَدَنة وبدن. قال: ومثله بغير هاء: أَسَد وأُسْد، ووَثَن ووُثْن. وتقرأ: خُشُب، وهو جمع الجمع، خشبة وخِشاب وخُشُب، مثل

= الكشاف ٤/ ١٠٩ ، وذَلَقُ اللسان: حِدَّته. اللسان (ذلق).

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٧٦ .

(٢) تفسير الرزاي ٣٠/ ١٤ ولم يعزه للكلبي.

(٣) برقم (٢٧٧٢)، وهو عند البخاري (٤٩٠٣)، وأحمد (١٩٣٣٤) عن زيد بن أرقم ﷺ.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٤٨ .

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٢ بنحوه.

(٦) السبعة ص٦٣٦ ، والتيسير ص٢١١ .

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٢ .

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٣٣ .

(٩) وهي قراءة الحسن وعيسى. القراءات الشاذة ص٩٥ .

(١٠) الكشاف ٤/ ١٠٩ .

ثمرة وثمار وثُمُر[١]. والإسناد: الإمالة، تقول: أسندت الشيء، أي: أملته. و«مُسَنَّدَة» للتكثير[٢]، أي: استندوا إلى الأيمان بحقن دمائهم.

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾ أي: كلَّ أهل صيحة عليهم، هم العدُوُّ. فـ«هم العَدُوّ» في موضع المفعول الثاني؛ على أنَّ الكلام لا ضميرَ فيه[٣]. يصفهم بالجُبْن والخَوَر. قال مقاتل والسُّدِّيُّ: أي: إذا نادى منادٍ في العسكر ـ إن انفلتت دابة، أو أُنشِدت ضالَّة ـ ظنُّوا أنَّهم المرادون؛ لما في قلوبهم من الرعب[٤]. كما قال الشاعر وهو الأخطل:

مازلت تحسب كلَّ شيء بعدهم خيلاً تَكُرُّ عليهمُ ورجالَا[٥]

وقيل: «يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ» كلام ضميره فيه لا يفتقر إلى ما بعد، وتقديره: يحسبون كلَّ صيحة عليهم أنَّهم قد فُطن بهم وعُلم بنفاقهم؛ لأنَّ للرِّيبة خوفًا. ثم استأنف الله خطابَ نبيِّه ﷺ فقال: «هُمُ الْعَدُوُّ» وهذا معنى قول الضَّحَّاك وقيل: يحسبون كلَّ صيحة يسمعونها في المسجد أنَّها عليهم، وأنَّ النبيَّ ﷺ قد أمر فيها بقتلهم، فهم أبدًا وَجِلون من أن يُنزل الله فيهم أمرًا يُبيح به دماءهم، ويهتك به أستارهم[٦]. وفي هذا المعنى قول الشاعر:

فلو أنها عُصْفورةٌ لحسبتها مُسَوَّمَةً تَدْعُو عُبَيْدًا وأَزْنَمَا[٧]

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٣٣ ، وقراءة ابن المسيب في البحر المحيط ٨/ ٢٧٢ ، وأوردها الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٠٩ ولم ينسبها.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٤٨ .

(٣) الكشاف ٤/ ١٠٩ .

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٢ ، وتفسير الرازي ٣٠/ ١٥ عن مقاتل.

(٥) الكشاف ٤/ ١٠٩ ، ولم نقف على البيت في ديوان الأخطل، بل ورد في ديوان جرير ١/ ٥٣ [وهكذا نسبه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣١٢] ضمن قصيدة يهجو بها الأخطل. وورد فيه: عليكم، بدل: عليهم. وهي الأَوْلى.

(٦) النكت والعيون ٦/ ١٥ .

(٧) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٦٨ ، والبيت للعوَّام بن شوذب يصف فيه جبن بسطام بن قيس كما في الحيوان للجاحظ ٥/ ٢٤٠ و٦/ ٤٣٠ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة ٢/ ٩٢٧ حيث يقول: لو أن عصفورة طارت لحسبتها ـ من جبنك ـ خيلاً معلمة، تدعو عبيداً وأزنما، أي شعارهم: يال عبيد أزنم.

بطن من بني يَرْبُوع، ثم وصفه الله بقوله: «هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ» حكاه عبد الرحمن ابن أبي حاتم[١]. وفي قوله تعالى: «فَاحْذَرْهُمْ» وجهان: أحدهما: فاحذر أن تثقَ بقولهم، أو تميل إلى كلامهم. الثاني: فاحذر مُمَايلتهم لأعدائك، وتخذيلهم لأصحابك.

﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: لعنهم اللهُ، قاله ابن عباس وأبو مالك ـ وهي كلمة ذمٍّ وتوبيخ. وقد تقول العرب: قاتله اللهُ ما أشعره! فيضعونه موضعَ التعجُّب ـ وقيل: معنى «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ» أي: أحلَّهم محلَّ من قاتله عدوٌّ قاهر؛ لأنَّ الله تعالى قاهر لكلِّ معاند. حكاه ابن عيسى[٢]. ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: يكذبون، قاله ابن عباس. قتادة: معناه: يعدلون عن الحقِّ. الحسن: معناه: يصرفون عن الرشد. وقيل: معناه: كيف تضلُّ عقولهم عن هذا[٣] مع وضوح الدلائل، وهو من الإفك وهو الصرف[٤]. و«أَنَّى» بمعنى كيف، وقد تقدَّم[٥].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ لمَّا نزل القرآن بصفتهم، مشى إليهم عشائرهم وقالوا: افتُضحتم بالنفاق، فتوبوا إلى رسول الله من النفاق، واطلبوا أن يستغفر لكم. فَلَوَّوْا رؤوسهم، أي: حَرَّكوها استهزاءً وإباءً، قاله ابن عباس[٦]. وعنه أنَّه كان لعبد الله بن أُبَيٍّ موقف في كلِّ سبب يحضُّ على طاعة الله

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٥ وما بعده منه أيضاً.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٦ عدا ما بين معترضتين.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٦ وعزا القول الأخير للسدي.

(٤) اللسان (أفك).

(٥) ٤/ ٧-٨.

(٦) تفسير الرازي ٣٠/ ١٥ وعزاه للكلبي.

وطاعة رسوله، فقيل له: وما ينفعك ذلك ورسول الله ﷺ عليك غضبان، فَأْتِه يَستغفرْ لك. فأبى وقال: لا أذهب إليه.

وسبب نزول هذه الآيات أنَّ النبيَّ ﷺ غزا بني المُصطلِق على ماء يقال له: المُرَيْسِيع، من ناحية قُدَيد، إلى الساحل، فازدحم أجير لعمر يقال له: جهْجَاه، مع حَليف لعبد الله بن أُبيٍّ يقال له: سِنان، على ماء بالمُشَلَّلِ، فصرخ جهجاهُ بالمهاجرين، وصرخ سِنانُ بالأنصار، فلطَم جهجاهُ سِناناً، فقال عبد الله بنُ أُبَيٍّ: أَوَقد فعلوها! واللهِ ما مَثَلُنا ومَثَلُهم إلا كما قال الأوَّل: سَمِّن كلبك يَأْكُلْك، أما واللهِ لئن رجعنا إلى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ ـ يعني: أُبَيًّا ـ الأذلَّ ـ يعني محمَّدًا ﷺ ـ ثم قال لقومه: كُفُّوا طعامكم عن هذا الرجل، ولا تنفقوا على مَن عندَه حتى ينفضوا ويتركوه. فقال زيد بن أَرْقَم ـ وهو من رهط عبد الله ـ: أنتَ واللهِ الذليل المُنتَقَص في قومك، ومحمَّد ﷺ في عِزٍّ من الرحمن، ومودَّة من المسلمين، واللهِ لا أُحِبُّك بعد كلامكَ هذا أبدًا. فقال عبد الله: اسكت، إنَّما كنت أَلعب. فأخبر زيدٌ النبيَّ ﷺ بقوله، فأقسم بالله ما فَعَلَ ولا قال، فعذره النبيُّ ﷺ. قال زيد: فوجدت في نفسي، ولَامَنِي الناس، فنزلت سورة المنافقين في تصديق زيد، وتكذيب عبد الله. فقيل لعبد الله: قد نزلت فيكَ آيات شديدة، فاذهب إلى رسول الله ﷺ ليستغفر لك، فألوى برأسه، فنزلت الآيات. خرَّجه البخاريُّ ومسلم والترمذيُّ بمعناه. وقد تقدَّم أوَّل السورة[1].

وقيل: «يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ» يستتبكم من النفاق؛ لأنَّ التوبة استغفار. ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: يُعرِضون عن الرسول متكبِّرين عن الإيمان[2].

---

(١) ص٤٩٤-٤٩٥ من هذا الجزء، والخبر ذكره الواقدي في المغازي ٢/ ٤١٥-٤١٨ ، وابن هشام في السيرة النبوية ٢/ ٢٩٠ وما بعدها، والواحدي في أسباب النزول ص٤٥٨-٤٦١ ، والبغوي في التفسير ٤/ ٣٤٨-٣٤٩ ، وأخرجه الطبري في التفسير ٢٢/ ٦٦٦-٦٦٩ عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر، وعن عبد الله ابن أبي بكر، وعن محمد بن يحيى بن حبَّان. قال: كلٌّ قد حدَّثني بعض حديث بني المصطلق. . . . الخبر».

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٧ .

وقرأ نافع: «لَوَوْا» بالتخفيف[١]. وشدَّد الباقون، واختاره أبو عبيد، وقال: هو فعل لجماعة. النحَّاس: وغلط في هذا؛ لأنَّه نزل في عبد الله بن أُبَيٍّ لما قيل له: تعالَ يَستغفرْ لك رسولُ الله ﷺ، حَرَّك رأسه استهزاءً. فإن قيل: كيف أخبر عنه بفعل الجماعة؟ قيل له: العرب تفعل هذا إذا كَنَّت عن الإنسان. أنشد سِيبويه لحسان:

ظننتم بأن يَخْفى الذي قد صنعتمُ وفينا رسولٌ عنده الوَحْي واضِعُه[٢]

وإنَّما خاطب حَسَّانُ ابنَ الأبيرِق في شيء سَرَقه بمكَّة، وقصته مشهورة.

وقد يجوز أن يخبر عنه وعمَّن فعل فعله. وقيل: قال ابن أُبَيٍّ لمَّا لَوَى رأسه: أمرتموني أن أُومِن، فقد آمنت، وأن أُعطي زكاة مالي، فقد أعطيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمَّد[٣]!.

قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يعني كلّ ذلك سواء، لا ينفع استغفارك شيئاً؛ لأنَّ اللهَ لا يغفر لهم. نظيره: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٢]، ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦]. وقد تقدَّم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ أي: من سبَق في عِلْم الله أنَّه يموت فاسقاً.

قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧﴾

ذكرنا سبب النزول فيما تقدَّم. وابن أُبَيٍّ قال: لا تُنفقوا على مَن عند محمَّد حتى

---

(١) السبعة ص٦٣٦، والتيسير ص٢١١.

(٢) سلف ٧/ ١١٤.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٦٥، والبغوي ٤/ ٣٥٠.

ينفضُّوا، حتى يتفرَّقوا عنه[١]. فأعلمهم الله سبحانه أنَّ خزائن السماوات والأرض له، يُنفِقُ كيف يشاء. قال رجل لحاتم الأَصَمِّ: من أين تأكل؟ فقال: «وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»[٢]. وقال الْجُنَيد: خزائن السماوات: الغيوب، وخزائن الأرض: القلوب؛ فهو عَلَّام الغيوب ومُقَلِّب القلوب[٣]. وكان الشِّبْليُّ يقول: «وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» فأين تذهبون. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أنَّه إذا أراد أمرًا يَسَّرَه.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

القائل ابن أُبَيٍّ، كما تقدَّم. وقيل: إنَّه لمَّا قال: «لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ» ورجع إلى المدينة لم يلبث إلا أيَّاماً يسيرة حتى مات، فاستغفر له رسول الله ﷺ، وألبسه قميصه، فنزلت هذه الآية: «لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ». وقد مضى بيان هذا كلِّه في سورة «براءة»[٤] مستوفًى. وروي أنَّ عبد الله بنَ عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سلول قال لأبيه: والذي لا إله إلا هو لا تدخل المدينة حتى تقول: إنَّ رسول الله ﷺ هو الأعَزُّ وأنا الأذلُّ؛ فقاله[٥]. تَوَهَّمُوا أنَّ العزَّة بكثرة الأموال والأتباع، فبيَّن الله أنَّ

(١) الكشاف ٤/ ١١١.

(٢) أخرجه البغدادي في تاريخ بغداد ٨/ ٢٤٤، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣٣٥).

(٣) تفسير الرازي ٣٠/ ١٥.

(٤) ١٠/ ٣٢٠.

(٥) أخرج الترمذي (٣٣١٥) عن جابر بن عبد الله أنه قال: كنَّا في غزاة ـ قال سفيان: يرون أنها غزوة بني المصطلق ـ فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال المهاجري: يَالَ المهاجرين. وقال الأنصاري: يَالَ الأنصار. فسمع ذلك النبيُّ ﷺ فقال: «ما بال دعوى الجاهلية»؟ قالوا: رجل من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار. فقال رسول الله ﷺ: «دعوها؛ فإنها منتنة». فسمع ذلك عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول، فقال: أَوَقَدْ فعلوها، واللهِ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ. فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنقَ هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه». وقال غير عمر: فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله: واللهِ لا تنفلت حتى تُقِرَّ أنَّك الذليل، ورسول الله ﷺ العزيز، ففعل. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

العِزَّة والمَنَعَة والقُوَّة لله.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾

حذَّر المؤمنين أخلاقَ المنافقين، أي: لا تشتغلوا بأموالكم كما فعل المنافقون إذ قالوا ـ للشُّح بأموالهم ـ: لا تُنْفِقُوا على مَن عند رسول الله .﴿عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ أي: عن الحجِّ والزكاة[١]. وقيل: عن قراءة القرآن. وقيل: عن إدامة الذكر[٢]. وقيل: عن الصلوات الخمس، قاله الضحاك[٣]. وقال الحسن: جميع الفرائض؛ كأنَّه قال: عن طاعة الله[٤]. وقيل: هو خطاب للمنافقين، أي: آمنتم بالقول فآمنوا بالقلب .﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ أي: من يشتغل بالمال والولد عن طاعة ربِّه[٥] ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ .

قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ يدلُّ على وجوب تعجيل أداء الزكاة، ولا يجوز تأخيرها أصلاً[٦]. وكذلك سائر العبادات إذا تعيَّن وقتها.

الثانية: قوله تعالى: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ

---

(١) أخرجه الطبري ٢٢/ ٦٧٣ عن سفيان.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٧٧ .

(٣) أخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٦٧٠-٦٧١ .

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٥ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٣٥٠ .

(٦) أحكام القرآن للهراسي ٤/ ٤١٧ .

﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ سأل الرجعةَ إلى الدنيا ليعملَ صالحاً. وروى الترمذيُّ عن الضَّحَّاك بن مُزاحم، عن ابن عباس قال: من كان له مال يبلِّغه حجَّ بيتِ رَبِّه، أو تجب عليه فيه زكاةٌ، فلم يَفعلْ، سَأَلَ الرجعةَ عند الموت. فقال رجل: يا ابن عباس، اتَّقِ الله، إنَّما سأل الرجعةَ الكفَّارُ؟ فقال: سأتلو عليك بذلك قرآنًا: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ ولَاَ أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ. وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىَ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ» إلى قوله: «وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» قال: فما يوجب الزكاة؟ قال: إذا بلغ المالُ مئتين فصاعداً. قال: فما يوجب الحجَّ؟ قال: الزاد والراحلة[١].

قلت: ذكره الحَلِيمِيُّ أبو عبد الله الحسين بن الحسن في كتاب «مِنهاج الدِّين»[٢] مرفوعاً فقال: وقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «من كان عنده مال يبلِّغه الحج. . .» الحديث؛ فذكره. وقد تقدَّم في «آل عمران» لفظه[٣].

الثالثة: قال ابن العربيِّ[٤]: أخذ ابن عباس بعموم الآية في إنفاق الواجب خاصَّةً دون النفل؛ فأمَّا تفسيره بالزكاة فصحيح كلُّه عموماً وتقديراً بالمئتين. وأما القول في الحجِّ ففيه إشكال؛ لأنَّا إن قلنا: إنَّ الحجَّ على التراخي، ففي المعصية في الموت قبل الحجِّ، خلاف بين العلماء؛ فلا تُخَرَّج الآية عليه. وإن قلنا: إنَّ الحجَّ على الفور، فالآية في العموم صحيح؛ لأنَّ من وجب عليه الحجُّ، فلم يؤدِّهِ، لَقِيَ مِنَ الله ما يودُّ أنَّه رجع ليأتيَ بما ترك من العبادات. وأمَّا تقدير الأمر بالزاد والراحلة، ففي ذلك خلاف مشهور بين العلماء. وليس لكلام ابن عباس فيه مدخل؛ لأجل أنَّ الرجعة

---

(١) الترمذي (٣٣١٦)، وسلف ٥/ ٢٣٢ عن ابن عباس مرفوعاً. قال الترمذي عن الموقوف: وهذا أصح. . . .

(٢) ٢/ ٣٤١.

(٣) ٥/ ٢٣٢.

(٤) في أحكام القرآن له ٤/ ١٨٠١-١٨٠٢.

والوعيد لا يدخل في المسائل المجتهد فيها ولا المختلف عليها، وإنَّما يدخل في المتَّفق عليه. والصحيح تناوله للواجب من الإنفاق كيف تصرف بالإجماع أو بنص القرآن؛ لأجل أنَّ ما عدا ذلك لا يتطرَّق إليه تحقيق الوعيد.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿لَوْلَا﴾ أي: هَلَّا[1]؛ فيكون استفهاماً. وقيل: «لا» صلة؛ فيكون الكلام بمعنى التمنِّي. ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ نصب على جواب التمنِّي بالفاء. ﴿وَأَكُنْ﴾ عطف على «فَأَصَّدَّقَ» وهي قراءة أبي عمرو وابن مُحَيْصِن ومجاهد. وقرأ الباقون: «وَأَكُنْ» بالجزم، عطفاً على موضع الفاء؛ لأنَّ قوله: «فَأَصَّدَّق» لو لم تكن الفاء، لكان مجزوماً، أي: أصدق. ومثله: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٦] فيمن جزم[2]. قال ابن عباس: هذه الآية أشدُّ على أهل التوحيد؛ لأنَّه لا يتمنَّى الرجوع في الدنيا أو التأخير فيها أحدٌ له عند الله خير في الآخرة.

قلت: إلا الشهيدَ فإنَّه يتمنَّى الرجوع حتى يقتل؛ لما يرى من الكرامة. ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من خير وشرٍّ[3]. وقراءة العامة بالتاء على الخطاب. وقرأ أبو بكر عن عاصم والسُّلَميّ بالياء[4]؛ على الخبر عمَّن مات وقال هذه المقالة.

تمت السورة بحمد الله وعونه

تم الجزء العشرون من تفسير القرطبي
ويليه الجزء الواحد والعشرون، ويبدأ بتفسير سورة التغابن

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٧٨.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٣٦-٤٣٩، والقراءة في السبعة ص٦٣٧، والتيسير ص٢١١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣١٦.

(٣) الوسيط ٤/ ٣٠٥.

(٤) السبعة ص٦٣٧، والتيسير ص٢١١.